فسحة أمل للحفاظ على النباتات في فلسطين

من مروج الأزهار النابضة بالحياة بين حقول الزيتون القديمة، إلى الرقع المترامية من البتلات الأرجوانية على سفوح التلال، تعتبر نباتات فلسطين مميزة، والآن هنالك حركة متنامية لحماية هذه النباتات، حركةٌ تجمع بين حماس الشباب في مجال حماية النباتات وحكمة المعرفة التقليدية.

مزارع الزيتون القديمة في فلسطين © أحمد العمري

كتبتها إيناس السراحنة

فلسطين مميزة، ونباتاتها مميزة، إذ تقع فلسطين بين ثلاثة مناطق إيكولوجية رئيسية، مما خلق تنوعاً كبيراً في الحياة البرية، إذ يوجد فيها أكثر من 2000 نوعٍ نباتي، 54 منها متوطنة، ومن ناحية جغرافية فلسطين، فهي محاطة بالبحر والسياج، وتتعدى عليها التنميةُ البشرية تمامًا مثل النباتات المتوطنة فيها والتي تقتصر على موطنها الصغير الضيق والمتدهور ضمن متطلبات محددة، أضف إلى هذا المزيج تاريخاً ثقافياً غنياً يتم الحفاظ عليه من خلال المعرفة التقليدية، ومن الواضح رؤية كون منظمات المجتمع المدني المحلية هي المفتاح لمعالجة التهديدات التي تواجه النباتات في فلسطين.

قامت بيردلايف لأول مرة (من خلال دورها كفريق التنفيذ الإقليمي لمنطقة حوض البحر الأبيض المتوسط الساخنة التابعة لصندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF)) بتقديم منح صغيرة لخمس منظمات مجتمع مدني في فلسطين، للحفاظ على النباتات المتوطنة المهددة بالانقراض والمقيدة بالموقع وموائلهم، فمن خلال هذه المشاريع، سيتم تعزيز المهارات والمعرفة النباتية للعلماء وحماة البيئة، ونأمل أن تنتقل هذه المهارات كالمعرفة الزراعية التقليدية المتواجدة في مزارع الزيتون.

حماية السوسنة الرمز

مسح ميداني للسوسنة *Iris haynei* في فقوعة © PWLS

على التلال فوق المروج الأكثر خصوبة في الشرق الأوسط، مرج ابن عامر الشهير، تنمو زهرة سوسنة *Iris haynei*، والتي لا توجد في أي مكان آخر في العالم إلا في قرية فقوعة في فلسطين في مجموعات مشتتة، وتعتبر هذه السوسنة النادرة المتوطنة مهددة بالانقراض عالمياً. في عام 2015، أعلنت سلطة جودة البيئة الفلسطينية زهرة *Iris haynei* الزهرة الوطنية لدولة فلسطين، وتبذل جمعية الحياة البرية الفلسطينية (PWLS - شريك بيرديلايف) جهوداً استثنائية لإنقاذها بدعم من صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF)، ولهذا فإن فهم توزيعها ومتطلباتها البيئية له أهمية قصوى.

تعد النتائج حتى الآن مشجعة، مع مشاركةٍ فعالةٍ للشباب من المجتمعات المحلية في جميع أنحاء القرية، للمساهمة في الجهود المبذولة لإنقاذ السوسنة التي تواجه العديد من التهديدات، بما في ذلك الرعي الجائر والآفات وجمع الزهور المحلية والتشجير والتنمية.

بالتعاون مع طلابٍ من جامعاتٍ فلسطينيةٍ مختلفةٍ، حققت الجمعية تقدماً كبيراً في إنبات *Iris haynei* من البذور باستخدام منهجية تعلموها من منتفع آخر من منحة صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF) وخبير سوسنة في لبنان (جامعة القديس يوسف)، حيث زُرعت البذور المجهزة في ثلاثة أماكن: في المختبر، وفي مناطق التوزيع الطبيعي لنبات السوسنة، وفي حديقة مساحتها 4.5 دونم (0.45 هكتار) تبرع بها مجلس قرية فقوعة لاستخدامها كحديقةٍ نباتيةٍ للبحث العلمي ومركزٍ تعليمي.

كما أعلنت وزارة التربية والتعليم الفلسطينية عن مسابقة للرسم والتصوير لأطفال فقوعة، تهدف إلى خلق شعور الملكية ورفع الوعي حول زهرتهم الأرجوانية.

التعلم من الماضي

مزارع الزيتون القديمة في فلسطين © أحمد العمري

توجد في قرية مسلية شمال الضفة الغربية مزارع قديمة من أشجار الزيتون المتشابكة المحاطة بمروج نابضة بالحياة من الزهور الرقيقة التي لم تتم دراستها من قبل حتى الآن، إذ يبلغ عمر بعض الأشجار أكثر من 800 عام، تتوارثها الأجيال جنبًا إلى جنب مع المعرفة التقليدية لكيفية العناية بها، ويعتبرها الفلسطينيون ارتباطاً رمزياً بأرضهم. إن الممارسات الزراعية المستخدمة، مثل التسميد العضوي وتناوب المحاصيل والزراعة البينية، هي التي سمحت للنباتات الرائعة بالازدهار، وفقًا لبحث حديث أجرته جامعة النجاح الوطنية.

بفضل منحة صغيرة من صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF)، تم تسجيل 275 نوعاً من النباتات من 48 عائلة في مزارع الزيتون، وإدراكاً لأهمية هذا التنوع النباتي الاستثنائي، نظم فريق البحث ورشة عمل في القرية لرفع وعي المزارعين بأهمية ممارسات الزراعة التقليدية المستخدمة في القرية، وتشجيعهم للحفاظ عليها.

تجذب مثل هذه المناظر الطبيعية الخلابة العديد من السياح إلى المنطقة، مما قد يكون له آثارٌ سلبيةٌ على المَزارع إذا لم يتم إدارة السياحة بالشكل المناسب، ولحسن الحظ، نجحت النتائج الأولية للبحث في تأهيل بلدية قرية مسلية للحصول على منحة أخرى من أجل إنشاء متنزه بيئي في القرية، من شأنه أن يشجع السياحة البيئية في هذه المنطقة الحساسة وزيادة وعي المجتمع المحلي بتنوعها البيولوجي الغني.

السوسنة التي لا تأكلها المواشي

***Iris atrofusca* في طوباس © انطوان خلايلة**

عندما صادف الدكتور انطوان خلايلة، الناشط في مجال البيئة، زهرة نادرة تتفتح في المنحدرات الشمالية الشرقية لفلسطين (منطقة التنوع البيولوجي الرئيسية (KBA)) اتصل على الفور بزميله عن طريق الفيديو، وقال له وهو ينقل هاتفه يمنةً ويسرةً لإظهار المناظر الجميلة المليئة بالعديد من مجموعات السوسنة *Iris atrofusca*: "هذه هي الجنة، علينا أن نفعل شيئاً حيال ذلك"، فعلى الرغم من أن الأزهار الأرجوانية الأنيقة والغنية كانت منتشرة في جميع أنحاء هذه المنطقة، إلا أن التحديات التي تهدد وجودها مستمرة، إذ تتواجد هذه الزهرة الهشة بشكل شبه حصري داخل فلسطين، ولا يمكنها تحمل المزيد من التدهور وفقدان الموائل والاستغلال من قبل الناس.

الدكتور خلايلة هو المدير التنفيذي لجمعية طبيعة فلسطين (NPS)، وهي منظمة غير حكومية عمرها ثلاث سنوات تهدف إلى البحث عن التنوع البيولوجي والبيئة في فلسطين والحفاظ عليهما ورفع الوعي بشأنهما، والتي تلقت منحة من صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF) نتيجة لعملها. لم يُعرف سوى القليل عن *Iris atrofusca* في فلسطين، لذلك كانت هناك حاجة ملحة لإجراء مسح ميداني، حيث تجول فريق الجمعية حول 14000 دونماً (1400 هكتاراً)، ومن المدهش أنهم اكتشفوا مساحة تبلغ حوالي 1800 دونماً (180 هكتاراً) تحتوي على أكثر من 7800 زهرة سوسنة، كما تم العثور على نوعين من الألوان النادرة؛ الأصفر والأبيض، داخل هذه المنطقة.

خلال المسح الميداني، التقى الفريق راعياً يتجول مع خرافه وأبقاره الثلاثمئة، قد وقع في حب السوسنة بعد أن لاحظ أن أغنامه لا تأكلها، وعمل جاهداً للحفاظ عليها في البرية، كما ساعد الفريق على معرفة مناطق تواجدها وتوزيعها.

تم إنشاء حديقة سوسنة الشفا النباتية كموقع للحفظ في الموقع على مساحة 5 دونمات (0.5 هكتار)، من أصل 14 دونماً (1.4 هكتار) تبرعت بها وزارة الزراعة وهيئة جودة البيئة داخل منطقة التنوع البيولوجي الرئيسية (KBA)، حيث تم زراعة 120 شتلة من سوسنة الشفا *Iris atrofusca* في عام 2021.

كما سيتم إنشاء خمسة حدائق نباتية مدرسية صغيرة في ثلاث مدارس داخل منطقة التنوع البيولوجي الرئيسية (KBA) بالتعاون مع النوادي البيئية المدرسية في بلدة طمون، وسيتم رسم لوحة جدارية كبيرة عن السوسنة للمساعدة في رفع الوعي.

جيل ناشئ من علماء النبات في فلسطين

دراسة التنوع الحيوي في بيت لحم © محمد نجاجرة

إن البحث العلمي ليس مهماً فقط لفهم وفرة الأنواع في منطقة ما والتهديدات التي تواجهها، ولكنه قد يكون أيضاً وسيلةً مهمةً لتدريب الجيل القادم من حماة البيئة، وهذا ينطبق إلى حدٍ كبيرٍ على جامعة بيت لحم، التي دربت الباحثين الشباب على تحديد أنواع النباتات وتحليل توزيعها والحفاظ عليها وغيرها من المهارات لتشجيع المزيد من الشباب على العمل في مجال علم النبات، من خلال منحة من صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF) لإجراء مسح ميداني لمنطقة المخرور (آخر منطقة خضراء في مدينة بيت لحم) وحديقة متحف فلسطين للتاريخ الطبيعي.

تم تسجيل أكثر من 361 نوعاً من النباتات، موزعة على 12 دونماً (1.2 هكتاراً)، داخل حديقة المتحف، وعلاوةً على ذلك، أنشأ الفريق حديقة نباتية، بحيث يتم وضع خطة إدارة لها من أجل الحفاظ على الأنواع المهددة والنادرة.

يعد المتحف أيضاً موقعاً جاذباً للسياح، لذلك تعمل الجامعة على جعله موقعاً للسياحة البيئية، حيث يقومون برفع الوعي بين الطلاب والزائرين حول النباتات داخل الحديقة النباتية والمحافظة عليها، والتي سترتبط بالتراث الثقافي والمعرفة التقليدية.

المحميات النباتية متناهية الصغر: رقعة حيوية لحماية النبات

مسح ميداني لسوسنة *Iris lortetii* في فلسطين © رنا جاموس

بالانتقال إلى نابلس، حيث يتم تقييم حالة نوع ثالث من السوسنة المتوطنة *Iris lortetii* من قبل مركز أبحاث التنوع الحيوي والبيئة(BERC) ، من خلال تحديد مواقعها ورسم خرائطها وجمع العينات لدراسة الحمض النووي الخاص بها.

أظهر تقييم المركز أن النباتات في نابلس تواجه تهديدات مختلفة، بما في ذلك الرعي الجائر وتغيير استخدام الأراضي والمحاجر والتنمية الحضرية، واستجابةً لذلك، أنشأ الفريق ست محميات نباتية صغيرة للحفاظ على السوسنة والنباتات الأخرى: في الأراضي العامة المملوكة من قبل وزارة الزراعة في جبل عيبال، وفي الحدائق العامة التي يديرها مجلس القرية، وفي أراضٍ خاصة مملوكة للمجتمع المحلي الذي يؤمن بأهمية الحفاظ على هذه الزهرة الرائعة.

بالعودة إلى الارتباط الثقافي بأشجار الزيتون المذكورة سابقاً، فإن أحد متطلبات الحصول على رخصة بناء في فلسطين هو إبلاغ سلطة جودة البيئة عن وجود أي أشجار زيتون سيتم اقتلاعها من أجل البناء، ويعمل المركز على سن قانونٍ مماثلٍ لنبات السوسنة، والذي سيساعد في الحفاظ على جميع أنواع النباتات المهددة بالانقراض، والتأكد من أن سلطة جودة البيئة ستقوم بنقل النباتات المهددة إلى أحد المحميات الصغيرة في المنطقة.

وفقًا للدكتور عيسى موسى البرادعية، مدير عام الموارد البيئية في سلطة جودة البيئة في فلسطين، فإن هذا العمل يعزز بشكل كبير الوعي بين صناع القرار الحكوميين والمجتمع حول قيمة الممارسات التقليدية ودور السياحة البيئية في حماية الطبيعة، ويقول: "إن الدعم الذي قدمته بيردلايف انترناشونال وصندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة (CEPF) لفلسطين قد عزز قدرات منظمات المجتمع المدني في الحفاظ على مناطق التنوع البيولوجي الرئيسية، حيث أن النتائج مهمة وستساعد في تحديد الأولويات للحفاظ على المواقع ذات القيم الطبيعية والثقافية العالية".

CRITICAL ECOSYSTEM PARTNERSHIP FUND

*صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة(CEPF) هو مبادرة مشتركة للوكالة الفرنسية للتنمية، ومنظمة الحفظ الدولية، والاتحاد الأوروبي، ومرفق البيئة العالمي، وحكومة اليابان، والبنك الدولي. تم توفير تمويل إضافي من قبل مؤسسة مافا (MAVA). الهدف الأساسي هو ضمان مشاركة المجتمع المدني في الحفاظ على التنوع البيولوجي.

صندوق شراكة الأنظمة البيئية الهامة هو أكثر من مجرد مانح، يقوم فريق التنفيذ الإقليمي (RIT) (الخبراء المسؤولون على الأرض) بتوجيه التمويل إلى المجالات الأكثر أهمية وحتى أصغر المنظمات؛ بناء قدرات المجتمع المدني، وتحسين نتائج حفظ الطبيعة، وتعزيز الشبكات وتبادل أفضل الممارسات. في المنطقة الساخنة للتنوع البيولوجي في حوض البحر الأبيض المتوسط، تم تكليف فريق RIT بشركة BirdLife International وشركائها: LPO (BirdLife France) و DOPPS (BirdLife Slovenia) و BPSSS (BirdLife Serbia).

BirdLife INTERNATIONAL

LPO

DOPPS

BIRD PROTECTION AND STUDY SOCIETY OF SERBIA